

## طفولة الشاذلى بين شبراتنا والقاهرة

قبل

أن يللمم الليل عباءته المظلمة ليفسح لخيوط النهار الجديد أن تضىء قريته «شبراتنا»، كان «سعد الشاذلى» تلميذ الابتدائى ينتظر زملاء دراسته على قارعة الطريق، فإذا ما اكتمل عددهم تولى قيادتهم إلى حيث مدرستهم الابتدائية فى «بسيون» التابعة لمحافظة الغربية والتي كانت تبعد عن بلدتهم بما يزيد على ٧ كيلومترات كان عليهم أن يقطعوها سيرا على الأقدام ذهابا وإيابا!

وجاء اختيار الصغار لزميلهم «الشاذلى» للقيام بهذه المهمة لمهارته فى التقدير الدقيق للمسافات وتحديد الزمن اللازم لقطعها بدقة خلال رحلة عنائهم اليومى فى طرق متربة غير ممهدة كانوا يذفون فيها من طرق ضيقة وقصيرة إلى طرق أطول منها يتبعون «الشاذلى» حتى يصلوا إلى الحقول، وهناك كانوا يسلكون وراءه طريقا مختصرا على أحد جانبيه الحقول وعلى الجانب الآخر قناة ضيقة، يتبعونه فى حذر شديد خوفا من أن تنزلق قدم أحدهم فيسقط فى المياه، وهم يحملون أحلام مستقبلهم البعيد كتبا ثقيلة فى حقائبهم حتى يصلوا إلى بداية الطريق الرئيس المؤدى إلى «بسيون» حيث مدرستهم ليلحقوا بظابور الصباح فى موعده المبكر مع بداية كل يوم دراسى.

ولم يدر «الشاذلى» - الصغير فى هذه السن المبكرة (٨ سنوات) - أن قيادته لرفاقه إلى المدرسة تكشف عن قدراته الفطرية على قيادة المجموعات بمهارة، وشغفه بمواجهة المخاطر وحبه للمغامرة، وأن ما يواجهه من عناء فى رحلته اليومية من وإلى المدرسة سيكسبه خبراته الأولى فى مواجهة صعوبات الحياة والتدريب على تحديها، حتى تعلم «سعد الشاذلى» فى هذه المرحلة المبكرة من عمره أن طريق النجاح محفوف فى أغلب الأحيان بالمخاطر ولا يصلح معه الانسحاب أو التراجع، لأن النجاح فى نهاية كل عام كان جائزة عظيمة تستحق العناء الذى يواجهونه كل يوم.

جاء ميلاد «سعد الشاذلى» فى إبريل ١٩٢٢م، وكانت مصر وقتها تموج بأحداث سياسية كثيرة تحت احتلال بريطانى جاثم على المصريين. وأتاحت الظروف العائلية فى بيت أسرته فرصته للتعرف إلى الأحوال السياسية فى البلاد، فاللقاءات الاجتماعية المتكررة التى كانت تعقد فى بيت والده «محمد الحسينى الشاذلى» وكان من كبار الأعيان فى بلده «شبراتنا» كانت تضم بعض أقاربه وأصدقاء والده وأعيان بلده فى لقاءات ودية أسبوعية منتظمة فيما يشبه المنتدى الاجتماعى، تدور فيه الأحاديث حول الأوضاع السياسية والحراك الثورى الذى كان يدور فى البلاد آنذاك.

وكان «الشاذلى» الصغير شغوفاً بمجالس الكبار مستمعا بينهم، يلتقط من حواراتهم ثقافته السياسية الأولى التى كانت تنبه حسه

وعلى عكس اهتمامات الفتیان فى هذه المرحلة المبكرة من أعمارهم ، كان «الشاذلى» شغوقا بالقراءة ینفق مصروفه الشخصى فى شراء الكتب ، السياسية لیعكف على قرائتها ، وینهل من مؤلفات الكاتب (محمد حسین هیکل) ومقالاته السياسية فى مجلة مصر الفتاة ، ومقالات الكاتب إحسان عبد القدوس فى مجلة روزاليوسف التى كانت توصف وقتها بالمقالات النارية لما كان لها من تأثير فى إشعال وجدان المصريين وتبصيرهم بما یدور فى وطنهم من أحداث ، وغيرها من القراءات التى أضافت إلى شخصية «الشاذلى» نضجا مبكرا ، وأشعلت وجدانه الوطنى تجاه الأحوال السياسية التى كانت عليها مصر آنذاك عام ١٩٣٦م .

وفى إحدى الإجازات التى كان یتربها الطلاب المغتربون عن بیوت أسرهم ، عاد «الشاذلى» من القاهرة لیقضى إجازته الأسبوعية بین أهله وأسرته فى بلدته «شبراتنا» لیجد مفاجأة فى انتظاره .



الوطنى خاصة بعد معرفته الجذور الوطنى لعائلته، فجدته لأبيه كان قد استشهد محارباً مع قوات إسماعيل باشا فى السودان، وبعض أقاربه كانوا مع ثوار ثورة عرابى ضد الخديو والإنجليز، فكان لهذا الكشف لجذوره العائلية أثر فى تشكيل وجدانه الوطنى، لينتقل بمرور الوقت بفكره الجديد إلى عالم الكبار وأحلامهم الوطنى لمصر، فما انقضت سنوات طفولته الأولى بانتهاء دراسته الابتدائية بنجاح إلا وكان قد تعلم من لقاءات الكبار حب مصر ومعنى التضحية من أجلها، لبدأ مرحلة جديدة من حياته ينتقل فيها إلى التعليم الإعدادى بالقاهرة بعيداً عن بلدته وأهله، ليصنع نجاحه بنفسه فى أول تجربة مع الغربية.

### سنة أولى وطنية

فى القاهرة هياً له والده حياة طيبة، تسهل عليه غربة صبي ابن الثانية عشرة، وتساعد على النجاح خلال سنوات متتالية فى انتظاره كان عليه أن يقضيها فى التعليم الإعدادى والثانوى (التوجيهى) بالقاهرة. وساعده ما كان يتميز به من الانضباط والالتزام الجاد فى دراسته على تحمل مسئوليته الدراسية والشخصية بنجاح عاماً وراءه أعوام حتى أنهى تعليمه الإعدادى وانتقل إلى التعليم التوجيهى (الثانوى).